فن المقالة عند الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء

دراسة أدبية- تحليلية

المدرس الدكتور
مرتضى شناوة فاهم العرداوي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية المختلطة ـ النجف
Murtazas.fahim@ukoufa.edu.iq

The Assay Art for Al-Sheikh Mohammad Hussein Al-Kashif Al-Ghitaa

Literary study - Analytical

Lect. Dr.
Murtadha Shnawa Fahim Al- Ardwi
Kufa University - College of Mixed Education - Al Najaf

الملخص:-

يهدف البحث إلى الكشف عن النتاجات الأدبية للإمام الراحل محمد حسين كاشف الغطاء، وتحديداً في مجال الفن المقالي الذي كان غائباً في نظر الدراسات التي تمحورت حول هذا العالم النحرير، إذ أنّها اقتصرت على مؤلفاته الدينية التي عُرِفَ فيها في الوسط العراقي خاصة والعالمي عامة، وأغفلت هذا النوع من الدراسات الأدبية، فأراد الباحث أن يبين هذه النتاجات المقالية التي سارت بخطى متوازية مع ثقافته الدينية، وقد جرت طبيعة تناول البحث على دراسة مقالاته الأدبية التي نُشرَت في الصحف العراقية بحسب موضوعاتها وحللها تحليلاً أدبياً، وكشف عن مميزاتها ولاسيما أسلوبها الذي جاءت فيه.

الكلمات المفتاحية: المقالة، الإمام الراحل، الصحف، عالجت، تهدف، المجلات.

Abstract:-

The paper aims at finding the literary results for Al-Sheikh Mohammad Hussein Al-Kashif Al-Ghitaa'، especially in the assay art that was absent in the studies that are searching about this great scholar. These studies are restrictive about his religious publications that are well-known in the Iraqi community. This paper tries to shed the light on the assay art that are equivalent with his religious publications. Therefore، the researcher studies the art of his assays that have been published in the Iraqi journals according to their subjects and analyses; in addition to، he classifies the assays' characteristics and styles that have been come with.

Keywords: Article, The late imam, newspapers, treated, Aims, magazines.

المقدمة:

تُعد مدينةُ النجف الأشرف مدينة العلم والعلماء، والأدب والأُدباء، فقد شهد لها التاريخ بأهميتها الدينية والتاريخية الكبرى، فهي منذ القدم كانت مهداً للحركات العلمية والأدبية، لاسيما أنها مدينة باب علم النبي ﷺ وعاصمة الفقه الإسلامي، وعلوم آل البيت عليهم السلام ومصدر المرجعية الكبرى، وما زالت محطَّ أنظار العالم، فهي مهد الحضارات ومدينةُ العلماء والمفكرين.

وقد جادت النجف الأشرف على العالَم الإسلاميِّ والعربي بآلاف العلماء والشعراء والكتاب ومنهم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي عرفَهُ الوسط الفكري العراقي خاصةً والعالمُ العربي والاسلاميُّ عامةً، فكان عالماً وأديباً، وناطقاً باسم الشعب ومدافعاً عن حقوق الوطن والأمة، وثمة أسبابٌ حملتني على دراسة فن المقالة عند الشيخ محمد حسين أل كاشف الغطاء ألا وهي بروز مكانته الدينية والحوزوية اللافتة للأنظار ولم يلتفت أحد من قبل إلى نتاجه الأدبي والنقدي سوى دراستين صغيرتين هما (الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وجهوده الأدبية والنقدية للدكتور حسين لفتة حافظ) وقد نُشِر هذا البحث في مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٢٧لسنة ٢٠١٢، و(بناء القصيدة عند الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء للدكتور عمار السلامي) وكلتا الدراستين لم تتطرق إلى مقالاته بشكل تفصيلي سوى إشارة موجزة لها؛ ولهذا وقع اختياري على المقالات التي كتبها الإمام الراحل، فوجدته قد ترك تراثاً أدبياً ضخماً سجل بصمتهُ الواضحة في مسيرة الأدب العربي، وقد أخذ البحث عنوانا للدراسة (فن المقالة عند الشيخ محمد حسين أل كاشف الغطاء دراسة أدبية) واتكأ البحث على أغلب المقالات التي نشرت في المجلات والصحف النجفية آنذاك، أما المنهج في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي، وجاء البحث على ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد تناولت فيه التعريف بالكاتب، وأما المبحث الأول فقام على توضيح المقالة بلحاظ المفهوم والمصطلح، اما المبحث الثاني فقد تناول أنماط المقالة عند الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء، وكان من شأن المبحث الثالث عرض خصائص المقالة عنده بقسميها: الأول بنية المقالة والجزء الثاني منهُ تناول أساليبها.

التمهيد (التعريف بالكاتب)

هو محمد ابن الشيخ علي بن محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء[١]. ولد سنة (١٢٩٤هـ-١٨٧٧م) ولَقّبت أسرته بـ(ال كاشف الغطاء)نسبةً الى كتاب (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) الذي ألفه جدهم جعفر الكبير (ت١٢٢٨هـ)، فهم من قبيلة ال ابراهيم من بيت (ال علي)[٢]. وهم من الأسر المهاجرة الى مدينة النجف الأشرف لطلب العلم، ولمجاورة الإمام علي عليه السلام، فقد هاجر جدّهم الأكبر الشيخ خضر (ت١١٨١هـ) من قرية جناجية في الحلة إلى النجف الأشرف في بداية القرن الثاني عشر الهجري [٣].

وتعد هذه الأسرة من ألمع الأسر العلمية والأدبية في العراق، وأعرقها، وامتدت زعامتها الدينية قرنين من الزمن، وخدمت العلم والدين خدمات جليلة[٤]، أنجبتْ وخرجت فحول المجتهدين، وجهابذة العلم، فهمُ علماء وقادة ومصلحون[٥].

والشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء درس على يد كثير من العلماء فقد حضر عند الشيخ ملا كاظم الخراساني، صاحب كفاية الأصول، وعند السيد محمد كاظم اليزيدي، وحضر عند الشيخ محمد تقي الشيرازي (ت١٣٣٩هـ) زعيم ثورة العشرين في العراق، انتهت إليه المرجعية العليا بعد وفاة أخيه الشيخ أحمد كاشف الغطاء سنة ١٣٤٤هـ وذاع صيته منذ ذلك الوقت، ونبغ حتى أضحى كبير علماء المشرق على الإطلاق وعلماً من أعلام الطائفة[٦] كان موسوعياً في علمه، برع في كل فن، أخذ من كل علم بطرف، حاضر في علوم الفقه والأصول والدلالة، وكان فوق ذلك أديباً من أئمة القريض والفصاحة والتأليف[٧]، وكانت له مواقف وطنية وسياسية مشهودة في مقارعة الانكليز، وتميّز بتوجهه الإصلاحي في المجال الفكري والسياسي والاجتماعي والتعليمي.[٨] وتوفي سنة (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م)

مؤلفاته:

وتنقسم على قسمين:

أولهما: المؤلفات المطبوعة:

له كثير من المؤلفات منها:

- أصل الشيعة وأصولها، طبع أكثر من عشرين طبعة، وترجم الى لغات عديدة.
- تحرير المجلة وهو شرح لمجلة الأحكام العدلية، التي أصدرتها الحكومة العثمانية سنة ١٨٧٦م، وشرحها الشيخ شرحاً فقهياً، على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) دُرّست في كلية الحقوق بجامعة بغداد (مطبوعة في خمسة اجزاء بتحقيق الشيخ محمد الساعدي) لقد انتشرت مؤلفات الشيخ كاشف الغطاء في أكثر بقاع الأرض وهي كثيرة منها المطبوع ومنها المخطوط، وفي اختصاصات متنوعة[٩].
- الدين والإسلام، جزءان.
- المراجعات الريحانية، جزءان.
- الآيات البينات.
- التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح، جزءان.
- الميثاق العربي الوطني.
- الفردوس الأعلى.
- المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون.
- المحاورة مع السفيرين.
- نبذة من السياسة الحسينية.
- الأرض والتربة الحسينية.
- الاتحاد والاقتصاد.
- حاشية تبصرة العلامة الحلي.
- سؤال وجواب.
- وجيزة الأحكام.
- حاشية على سفينة النجاة لأخية الشيخ أحمد.

- تعليقات على سحر بابل ديوان السيد جعفر كمال الدين الحلي.

رسالة في مباحث الالفاظ.

ثانيهما: المؤلفات المخطوطة:-

- تعليقات على ديواني السيد جعفر الحلي، والسيد محمد سعيد الحبوبي.
- تعليقة على كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، للشريف الجرجاني.
- تعليقه على شرح الشيخ محمد عبده لنهج البلاغة.
- تعليقه على مقامات الحريري (ت٥١٦هـ).
- تعليقة على كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت٢٥٥هـ).
- مختصر كتاب الأغاني.
- الدروس الدينية.
- حاشية على كتاب الأسفار لملا صدر الدين الشيرازي.
- حاشية على العرشية ورسالة الوجود لملا صدرا.
- الجزء الثالث والرابع من الدين والإسلام.
- حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري.
- تنقيح المقال.
- حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري.
- حاشية على القوانين.

وغيرها كثير في الأدب والفكر والفقه وغيرها من الاختصاصات الأخرى.

وله نتاجات كبيرة لم نحصل عليها وقد فقدت لأسباب كثيرة أشار اليها القائمون على مؤسسة كاشف الغطاء.

المبحث الأول

المقالة (مفهومها ـ نشأتها وتطورها)

١ـ المقالة في اللغة والإصطلاح:

المقالة في المعطى المعجمي تطلق على الأقوال الموجزة التي تتناول موضوعاً محدداً ويقول أرباب اللغة انّها مأخوذة من: ((رجل قؤول، ومقولٌ: منطيق.. وسمعت مقاله، ومقالته ومقالاتهم وأقاويلهم))[١٠].

وجاء في اللسان: ((قال يقول قولاً، وقيلاً، وقوله، ومقالاً ومقالة وأنشد ابن بري:

تحـــنّن علـــيّ هـــداك المـــليك فـــإن لكـــل مقـــام مقـــالاً))[١١]

لقد تعددت مفاهيم المقالة على وفق اختلاف الحقول المعرفية التي استعملت هذا المصطلح؛ ذلك بأنّها لم تستعمل في حيز معرفي واحد، بل كانت ماثلةً في أكثر من نطاق معرفي وصنف علمي،ولعل أبرزها تعريف د. محمد يوسف نجم بقولهِ ((المقالة الأدبية قطعة نثرية محدّدة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق))[١٢].

والمقالة بمفهومها اليوم ((جولة قصيرة في موضوع محدود، أو رأي معين توضح موقف من قضيّه ما، بلغة حسنه وأسلوب سهل، وقد تكون في مادتها موضوعيّة، فتتقيد في أسلوب العرض بدقة التعبير ورصانة التفكير وقوة الحجّة، وبراعة الاستنتاج، وحسن التنسيق أو تكون ذاتية تُجاري الاختبار وترافق العاطفة وتستعين بالخيال، وتستهدف الإثارة دون أنْ تتقيّد بسياق معين، أو تتوكأ على دليل قاطع، أو تفتقر الى إيراد سبب او تعليل ظاهره، وإنما هي عرضٌ طليق لخاطرة ملهمة أو عاطفة جائشة، يجري على البديهة، ويتوخى الصدق والإخلاص))[١٣].

ويمكن تحديد مفهوم المقالة واستخلاص ماهيتها، عن طريق ما ذكره الدكتور عز الدين اسماعيل، فهي عنده قريبة الشبه بالرسائل التي تتناول موضوعاً بالبحث كرسائل أخوان الصفا وهي ((في وضعها الفني الحديث تتميز بالقصر؛ لأنها لا تحاول أن تشمل كل الحقائق

والأفكار المتصلة بموضعها... ولكنها تختار جانباً، أو على الأكثر بعضاً من جوانب ذلك الموضوع))[١٤].

واذا أمعنا النظر في ما ورد من تعريفات حول مفهوم المقالة، نرى أنها جميعاً تركّز في نقاط بعينها كالقصر في الحجم، والمحدودية في الموضوعات، والرشاقة في العرض، والتفكهة والبعد عن الوعظ...[١٥]

وفي ضوم ماتقدم يمكن القول: إنَّ المقالة قطعة نثرية تعالج موضوعاً معيناً من الموضوعات التي تحرِّك مشاعر الكاتب، باتجاه ما، فيتولّد لديه موقف حيال هذهِ الموضوعات يحاول إيصاله الى القرّاء، بأسلوب قائمٍ على السهولة والعفوية والوضوح، متصلٌ بالبساطة والتشويق، وكذلك تتطلب من الكاتب جهداً كبيراً يتمثل في اختيار الألفاظ اللطيفة والأفكار المنمقة والموضوعية في الطرح التي تنسجم مع الصدق الفني للموضوع الذي يتمحور حوله موضوع المقالة،لا سيما الفذلكة الفكرية التي يجب أن يتبعها الكاتب في تضمين بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتكون مرجعية فكرية مشتركة بين الكاتب والمتلقي والتي من شأنها أن تسهم في الإقناع والتأثير.

٢ـ نشأة المقالة وتطورها

والمتتبع تاريخياً سيجد ثمة خلاف حول نشأة هذا الفن وجذوره التكوينية والعوامل التي ساعدت على انتشاره وكاد أن يجمع المؤلفون والباحثون على بداية هذا الفن ونشأته وقد أرجعوه إلى الاتصال الثقافي بالآداب الغربية وظهور الطباعة والصحف ويُجمع مؤرخو الآداب الغربية على أنّ المقالة الأدبية الحديثة عرفت سبيلها الى الحياة على يد الكاتب الفرنسي ميشل دي مونتين [١٦].

والبحث لا يتفق مع هذا الرأي؛ لأنه يصادر الثقافة العربية ويقطع الصلة بينها وبين الفنون الأدبية التي كانت حاضرة في كتبهم ونتاجاتهم، فالثقافة الأدبية العربية غنية بعطائها الدّافق المتنوع ولولا عدم وجود المقومات الإدارية أو التخطيط والانحلال الفكري وعدم الاهتمام بالموروث العربي؛ لكانت المقالة وغيرها من الفنون الأدبية امتداداً طبيعياً لتلك الحضارة الزاهية التي مدت ظلالها على العالم قروناً نعم فيها بلذة الأيمان وروعة العمل والفن، فالغرب على عادته يأخذ مضمون الفنون العربية ويلبسها ثوباً فكريا جديداً ثم

ينسبونها لأنفسهم ويحسبون لهم قصب السبق في اكتشافها.

وتجدر الإشارة ههنا إلى جذور الفن المقالي وتاريخه في الأدب العربي وتحديداً في القرن الثاني للهجرة وتمثلت على أحسن صورها في الرسائل وخاصة الاخوانية والعلمية[١٧]،إذ كان الكاتب يعبر عمّا يدور في خلجات نفسه من أفكار تسهم في معالجة قضايا معجتمعية معينة بطريقة أدبية موجزة، وهذا الأمر يؤيده العقاد في كتابهَ (يسألونك)وفي ذلك يقول ((أدب المقالة قديم في اللغة العربية بعد قيام الدولة الإسلامية، نشأ مع أدب الفصول... والفصل كما عرفة العرب هو أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتاني))[١٨].

واذا سلطنا الضوء على المقالة العربية الحديثة نستطيع القول إن المقالة العربية الحديثة ما كان لها ان تزدهر وتثمر، لولا اتصالها بالمقالة الغربيّة وتأثرها بها[١٩].

وفي نهاية المطاف لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ المقالة بمفهومها المعاصر وليدة العصر الحديث تبلورت نشأتها في أخريات القرن التاسع عشر متصلةً في الصحافة مفيدةً مما أتاحته من ميدان الإدارة والكلام، واذا كانت العربية قد تمرست بفن القول وبرعت فيه وتمت لها أجادة في صياغة مرام الفكر وألوان الوجدان فإنّها اثقلت في القرون المتأخرة حتى ناءت بزخرفه الإغناء فيه فتضاءل فيها نصيب الفكر وخفت تدفق الوجدان واختفت حيويتها، حتى اذا نشأت الصحافة وصارت فيها ابواب لابد ان تملأ، شرعت اللغة تخفف من قيودها وتتصل بمناحي الحياة ومناشطها ورجع الكتّاب الى عصور ازدهار النثر العربي يستلهمونها ويسعون أن يقتربوا منها، وهم كتاب في جملتهم، لديهم افكار يريدون تبليغها، ومن كان حريصاً على البلاغ فلا مندوحة له من تليين اللغة والاقتراب بها من اشياء الحياة ومن هنا بدأت المقالة[٢٠].وكان جمال الدين الأفغاني قد هبط مصر وهو يسعى الى تنشئة حركة فكرية اصلاحية تروم مفارقة التقليد ومغادرة إساره وقد وجد مسعاه هذا صدى في أنفس جيل ناشئ متطلع الى أفق رحيب ركيزتاه العقل والحرية، كما كان جمال الدين قطب حركة فكرية مستنيرة.

وكان من أقرب تلامذته الأصفياء لديه الشيخ محمد عبده الذي كان كاتباً أديباً زيادة على الفقه والتفسير والتبحر في العقيدة ومقارعة خصوم الإسلام، وكل تلك معانٍ تقتضي

التعبير عنها تعبيراً دقيقاً واضحاً حتى تصل الى الناس وتنفذ الى عقولهم وقلوبهم[٢١].

مارس السيد جمال الدين والشيخ محمد عبدة الكتابة على نحو واضح غير مثقل بالزخرف متوخين البلاغ المبين، غير أنّ محمد عبده ضاق بما كان يدرس من كتب البلاغة، ورآها لا تدل على الصياغة الحسنة المبينة ولا تعلم الإفصاح وحسن البلاغ وإنّما هي جدل عقلي.

لقد وجد من يريد أن يكتب بالصحافة مَدداً في صنع السيد جمال الدين والشيخ محمد عبدة، وكلّما مضت الأيام زادت الحاجة الى الكتابة في الصحافة اليومية وفي المجلاّت الأسبوعية، وقد تهيّأ لهذه الكتابة شكل المقالة في أقرب صورها وأيسرها من حيث الاعراب عن الفكرة إعراباً واضحاً، وقد زاد من اتضاح صورة المقالة في غايتها وما ترمي إليه اتصال جمال الدين ومحمد عبدة بالغرب وإقامتهما مدّه في باريس وإصدارهما هناك مجلة (العروة الوثقى) وقد كان للمقالة حيز كبير فيها، ومدار المقالة إنما يكون على فكره تعالجها على نحو من الوضوح والايجاز والترابط وتأخذ المقالة بهذا المعنى بالشيوع شيئاً فشيئاً؛ لانّها أداة صالحة لبسط الأفكار ومعالجة المعاني من دون الاصطبار على اكتمالها في كتاب، ولم يكن في حسبان من زاولها في هذهِ الحقبة أن يمدها بنسخ من العاطفة أو أن يظلها بشيء من الخيال.

وتلاقت الأقلام على صفحات الصحف على تفاوت فيما بينها من نمطٍ ما ينزع نحو الصياغة القديمة وما هي مثقلة به، ونمط يسعى أن يقترب من روح العصر في الأفكار وطرائق تأديتها.

ولابد للنمط المتصل بالعصر من الغلبة والسيادة، وقد كان للشجرة التي غرسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبدة أن تؤتي ثمرها وأن ينشأ جيل يرعى معنى العقل والحرية متخذاً المقالة أداة في البلاغ[٢٢].

والمقالة عند الإمام الراحل هي من أهم ما جادت به قريحته حتى عده الدارسون من روادها ومنهم الدكتور مُنير بكر الذي رأى أنه ((مُنح قدرة المصلح وموهبة الأديب فاستطاع أنْ يتحرى الحقائق ويستقي الأدلة والشواهد وأن يلتزم بالحيدة والإنصاف في كل

كلمة خطها، والبعد عن التحيّز والهوى في كل رأي جاهر به ودعا له فضلاً عن ما يبغه على تلك الموضوعات والآراء من الوحدة الموضوعية والصياغة الفنية، فاستحق أن يكون بحق فقهياً متحرراً وكاتباً وصحفياً لامعاً))[٢٣].

وذلك يدل على خصوبة أفكاره وتتعدد مرجعياته الثقافية وتنوعها، لاسيما أنّه يعد من مجتهدي الشيعة، وكل هذه المقومات منحته القدرة والمهارة في توظيف أفكاره الأدبية في خدمة العقيدة والدين ومعالجة القضايا المجتمعية الراهنة في وقته، وتكشف أغلب مقالاتهِ التي نشرت في المجلات والصحف آنذاك، عن القوة والشجاعة في الطرح، والمصداقية في معالجة الأمور بما يتناسب مع طبيعة المجتمع وتواشجها مع المطالب العقدية، فكان يمتلك رؤية إصلاحية شاملة، لاسيما في مجال معالجة المخاطر الوافدة إلى المجتمع الإسلامي بفعل الثقافة الغربية وانعكاساتها على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وبهذا لن تقتصر مقالاته على النطاق المحلي بل اتسعت لتأخذ على عاتقها معالجة الواقع الإسلامي وما يمر به من تحديات في جميع أنحاء العالم، ويشير جعفر الخليلي الى هذهِ السّمة في قولهِ ((ولعل اول باب فتح لشهرة الشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء في خارج النجف كان عن طريق المراسلات التي جرت بينه وبين أمين الريحاني تلك المراسلات التي تتضمن تبادل آراء في ردود أعجبت جميع قراء العربية على اختلاف نحلهم ثُمَ جمعت وطبعت باسم (المراجعات الريحانية))[٢٤].

ويبدو أنَ هذه المراسلات جسّدت عنده حركة تصاعدية في مجال المناخ الحضاري والإصلاحي، لاسيما ارتشافه العلوم العقلية والفلسفية التي نهل منها في منتديات النجف الأشرف، وكل هذه العوامل وغيرها كان لها أثرٌ كبيرٌ في ميدان شهرته العالمية الواسعة.

المبحث الثاني

أنماط المقالة عند الشيخ كاشف الغطاء

إذا كان من مقتضيات البحث ومتبنياته تقسيم أنماط المقالة عند الشيخ كاشف الغطاء على أنواع فهنا يجب أن نشير إلى تنوعها استناداً إلى الموضوعات التي عالجتها، فقد تنوّعت بتنوع الدوافع إلى تأليفها، وليس من السهل على الباحث في هذا المجال التمييز بين هذهِ الأنواع المندرجة تحت فن واحد كفن المقالة، لان ذلك يعزوه الى التكلف، وإلى وضع الحدود التي لا يخضع لها الأدب بسهولة.

ويقول أحد الباحثين في ذلك بأن ((التميّز بين أنواع المقالات مهمة شاقة عسيرة، وإن ارتضيناه لأنفسنا تسهيلاً للبحث فإنّ طبيعة هذا الفن الأدبي لا تقرّه ولا توافق عليه))[٢٥]إذ أنّ بعض المقالات قد تجمع أطرافاً أو اشتاتاً من موضوعات متفرقة، فضلاً عن أنّ بعضها قد يطغى فيه الموضوع على الكاتب فيلحق بالمقالات العلمية، أو قد تطغى فيه ذات الكاتب فيلحق بالمقالات الأدبية، وربما جمع بين الذاتية الموضوعية معاً.

لقد أجاد الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في هذا الفن، وله مقالات سياسية واجتماعية ودينية نشرها في الصحف واحتوتها مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، وهي ثمرة علمه وأدبه، ودليل ممارسته الطويلة[٢٦]، وعلى الرغم من تناثر هذه المقالات في الصحف القديمة والمجلات النجفيّة استطاع الباحث جمع هذه المقالات ذات الصبغة الأدبية المتفقة في موضوعاتها سواءً كانت في الدين أم السياسة او المجتمع وكذلك المقالة التي تعنى بالنقد الأدبي.

وسأدرس كُلاً منها على وجه منفصل، ومن الجدير بالذكر أنّ الامام الراحل قد برع في وضع عناوين مقالاته واذكر منها (بين الهدى والضلال)،(الشباب)، (التضحية في ضاحية الطف)، (علي فوق العبقريات)، (الى فلسطين)، (الفردوس الأعلى)، (موقف الحسين يوم الطف)،(الريحاني في ميزان النقد) و(حقيقة التربة الحسينية)[٢٧]

وفي دراستنا لهذه المقالات سنعمد الى تقسيمها بحسب موضوعاتها و كما يأتي:

١- **المقالات الدينية:** وهي الطروحات الموجزة التي تتعاطى مع القضايا الدينية وتدافع عن فكرة تمس المعتقد أو المذهب للكاتب، إذ يعمد إلى ابرازها بطريقة فنية حتى يصل إلى تحقيق الهدف الأسمى للمعرفة الدينية. ومن تلك المقالات مقالته التي حملت عنوان (موقف الحسين يوم الطف) جاء فيها: ((وعلى كل فالمسلمون جميعاً بل والإسلام من ساعة قيامه الى قيام الساعة رهين شكر للحسين عليه السلام وأصحابه على ذلك الموقف الذي أقل ما يقال فيه

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً الى الحشر لا يزداد الا معاليا))[٢٨]

ومما نلحظهُ في هذه المقالة الدينية هو تمسك الكاتب بالخط الحسيني والولاء له والإقرار

بالفضل للإمام الحسين في محاربة شذاذ الآفاق والهوى.

ومن مقالاتهِ الدينية مقالة بعنوان (التوحيد والإلحاد) أو (بين الهدى والظلال) وجاء فيها ((... بلغت العرب في عصورها الأخيرة (أعني عصورها الجاهلية) إلى حال من الوحشية والهمجيّة وسوء الأخلاق، والذل والمهانة، والسقوط أمام الأمم المالكة من الأكاسرة والقياصرة مبلغاً يقصر عنه البيان ولا يحيط به القلم ولا اللسان حتى سطعت في اثباج تلك الظلمات المتراكمة أنوار الشريعة المحمديّة، وأشرقت شمس الديانة الإسلامية، وجاءهم محمد ﷺ بالنور الساطع والهدى اللامع والدين الحنيف والأخلاق الفاضلة والجدة الجامعة...))[٢٩].

تبرز الروح الاسلامية والنفحات الايمانية التي تُجسّد فضل الإسلام في إنقاذ البشرية من الشرك والضلال، بشكل واضح على كتابات الكاتب الدينية التي تتسم بالبساطة والصدق والاخلاص.

ومن المقالات الدينية له مقالة بعنوان (التضحية في ضاحية الطف) جاءَ فيها: ((إنَّ التضحية التي تسامى وتعالى بها إمام الشهداء وأبو الأئمة يوم الطف من أي ناحيةٍ نظرت إليها، ومن كل وجهة اتجهت لها، متأملاً فيها، أعطتك دروساً وعبراً، وأسراراً وحمكا، تخضع لها الألباب وتجسد في محراب عظمتها العقول. واقعة الطف وشهادة سيد الشهداء وأصحابه في تلك العرصات كتاب مشحون بالآيات الباهرة والعظمات البليغة فهي:

كالبدر من حيث التفت وجدته يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا..))[٣٠]

وبقطع النظر عن المضمون فإنَّ كتابة المقالة الدينية عند الإمام الراحل تختزل أفكاراً ثقافيةً بطرق فنية متنوعة، وشبه سريعة في إيصال المعنى المقصود إلى المتلقي، فهو يسعى إلى تحشيد المعاني المنسجمة مع الألفاظ المترابطة معها؛لأنَّ المقالة الدينية يمكن أن تُقرأ من زوايا معرفية متعددة.

٢- **المقالة الاجتماعية:** بين الأدب والحياة علاقة جدليَّة لا تنفصم عُراها، ولا تهدأ حركتها، إنما تعتريها بعض الأدواء فتفتقر، أو تكاد، ثم تبرأ من تلك الأدواء فتعود الى ألقها وحيويّتها، فالحياة تخلق الأدب، لا يستطيع احد اغفال هذهِ العلاقة، فهي

أساس متين من أسس الإبداع الأدبي والفنّي بشكل عام[٣١].

والمقالة الإجتماعية هي المقالة التي تعنى بأحوال المجتمع ومعالجة قضاياه بأسلوب أدبي، ومن الموضوعات التي عالجتها، الحرية والاستعباد، ومشكلة المرأة العربية وتأثير تخلفها على المجتمع...الخ.[٣٢].

وله مقالات اجتماعية نشرت في الصحف النجفية، صوّرت أوضاع المجتمع العراقي بكل مساوئها وفي مختلف عهودها ((فقد كان العراق مدة خضوعه للحكم العثماني يعيش في شبه عزلة اجتماعية...، الاّ الندر اليسير، ثم جاءت إليهم الحضارة اثر الحرب الأولى...))[٣٣].

لقد عاصر الرجل بعضاً من هذهَ الأحداث، فلم يعش عصره بعقل أهل زمانه ولا عقلية الزمن الماضي ومن هذهَ المقالات قالَ مصوراً الفلاح وفقره، والكوخ وزاده، بجنب هذهَ الصورة المحزنة صورة الملك والأبهة فيقول:((نحن لا يعنينا الملك وقصوره وانمّا يعنينا كوخ الفلاّح الذي من كد يمينه وعرق جبينه وضرب مسحاته تشيّد قصر الملك وقصر الكريمات أيضاً، الفلاح يسكن بيوتاً كالقبور ومن جهودهِ واتباعه تسكنون القصور، يأكل الرذان والدنان والشعير الأسود، وتأكلون العنبر والدجاج وتلبسون الاستبرق والديباج، وينام على التراب وتتقلبون على الدمسق والحرير...))[٣٤].

والواقع أن الأساليب والعادات التي رسخت في المجتمع العراقي بقيت تؤثر في المجتمع منها طبيعة علاقة الرجل بالمرأة، ومنحها الحرية في العمل ومسايرة الاحداث طلباً للتقدم ومشاركة الرجل في الدفاع عن الاوطان، فقد اعتاد الرجال التزمت والحذر الشديد في المرأة[٣٥].

فالشيخ له مواقف اصلاحية من المرأة ومشاركتها الرجل فقد تحرر من أسار الجامدين ونهى عليهم حرمانهم المجتمع من عقول فعالة قد تفوق الرجل كفاءة وقابلية فيقول ((... نقول للحرائر والنجيبات... اننا نطلب منهن الشجاعة الادبية، نطلب منهن الثورة على الظلم والظالمين، وتتابع الصرخات على المستعمرين، ومحاسبة المسؤولين))[٣٦].

٣- المقالة السياسية: لم يقف الأدب يوماً عن تناول الشأن السياسي، فالأدب لا يمكن

أن يبتعد عن السياسة فهو متواشج معها.

وفي السياسة أدرك الشيخ بثاقب بصيرته وهو المعني بالحركة القومية، أنَّ الحركة الدينية تبقى محدودة الأثر مالم يتفهم الجمهور العراقي الحقائق القومية والدين، فعمد إلى توعية الجماهير والتعريف بواقعها إذ شهر قلمه وأوقف أدبه لمناهضة المستمرين وركائزهم عن طريق مقالاته وكتاباته الصحفية الكثيرة ومن ذلك مقالتهِ التي كتبها تحت عنوان (حقيقة الاستعمار) فيقول ((ولو كان الاستعمار يؤخذ بمعناه الصحيح من الإعمار ورعاية مصالح البلاد وأهلها لهانَ علينا، بل كُنا نرحب به، أما اذا كان بالضد من ذلك فنحن نبرأ منه، ونكافحه بجميع قواته... والاستعمار كاللص يدخل الدار فيأخذ ما فيها... وصاحب الدار ينظر وليس لديه قوة المدافعة واذا صاح أو صرخ يجني على حياته....)) [٣٧].

نلاحظ في هذهِ المقالة صورة الأحوال السياسة لواقع عصرهِ، وجسد لنا حال الإنكليز ومراوغاتهم بصورة فنيّة رائعة.

أما السياسة الأمريكية فلها النصيب الأوفى في كتابات الشيخ، إذ فضح سياستها في التفرقة البغيضة في حدود قارتها وولايتها بين زنوجها وهنودها ومهاجريها حيث يقول في مقالة تحت عنوان (اضطهاد الزنوج يفضح سياسة أمريكا) جاء فيه((لو كان عند الأمريكان شيء من المثل العليا، والقيم الروحية لحموا الهنود الحمر السكان الأصليين للبلاد، والأمريكان أجانب عنهم، نزلاء عليهم.... لكن الهنود الحمر العزّل المساكين لاقوا من الفاتحين المغامرين ألوان العذاب والموت والتشريد والتقتيل... ولو كان عند حكومة امريكا ذرة من العدل والانصاف، لأحسنوا معاملة الزنوج الذين استعبدوهم... فالزنوج محرومون بالعمل وبالواقع من كل شيء، لغيرهم الغنم وعليهم الغرم، وعليهم الواجبات الثقيلة، وليس لهم أبسط الحقوق))[٣٨].

والكاتب في كل ما كتب عن الاستعمار أجاد اجادة تامة فكان يعقد المقارنات بين الاستعماريين ليجد المفارقات والتناقضات لئلا تنطلي حيلهم على أحد.

وفي مقالة الشباب يقول ((الشباب المثقف هو الجاهز للأمة، وقوتها وعدتها في الشدائد .... انهضوا نهضة شريفة تعيدون بها مجد أسلافكم))[٣٩].

في هذهِ المقالة نتلمس الروح الثورية للإمام الراحل الذي لم يرضَ بالَذل والهوان لما أصاب المجتمع العربي، فهو يحرض الشباب على التسلح بالإيمان وعدم الخضوع لسياسة المستعمر وهذا ما يتجلى واضحاً ايضاً في مقالته التي حملت العنوان (الى فلسطين) فيقول ((...ما أصيب العرب والأمة الاسلامية بضربة أعمت عينها، وقصمت ظهرها، ومزّقت شغاف قلبها كضربة فلسطين ولا أوجع وأفجع منها...))[٤٠]

ومن الحق قضية فلسطين استحوذت على أفكار الشيخ وشغلت باله، لأنها مصير دين ومصير أمة بكاملها، فيؤكد على أنّ الضربة التي أصابت فلسطين هي ضربة أصابت الأمة العربية فأضعفت الأمة الإسلامية.

وله كثير من المقالات السياسية التي نشرت في المجلات النجفية آنذاك، إذ لا يمكن للباحث ذكرها بسبب طبيعة البحث، وهذهِ المقالات هي بحق لسان الأمة الناطق وقلبها النابض، فهو لم يتخلّف عن معركة ولم ينفصل عن قضية.

٤- المقالة النقدية: وتعتمد المقالة النقدية على قدرة الكاتب على تذوق الأثر الأدبي، ثمّ تعليل الأحكام وتفسيرها، وتقويم الأثر بوجه عام[٤١].

للإمام الراحل مقالات احتوت على بعض القضايا النقدية الثقافية، فهو يرى أنْ يمحص الأشياء ويخضعها لميزان النقد، ونجد هذا عنده في حديثه الخاص عن الريحاني وقد نشرت تباعاً في جريدة النجف التي كانت تصدره عام ١٩٢٦ م تحت عنوان (الريحاني في ميزان النقد) أو (نظرة في كتابه ملوك العرب)[٤٢] جاء فيه ((إنَّ كاتباً كالريحاني يؤلف سفراً ككتاب (ملوك العرب)يدخل فيه من باب وينتقل فيه من موضوع الى موضوع.... وأهل العلم له بالمرصاد يضعونه تحت مطرقة النقد وفي بوتقة التمحيص على معيار الاختبار أفليس من الحزم بل من الحتم على مثل ذلك الكَاتِب في مثل ذلك الكتاب ان يحكم العقدة...))[٤٣].

وكذلك لديه لمسات مقالية نقدية نستطع أن نجدها في المناقشات التي يجريها الإمام الراحل في نقد النصوص بناءً القدرة اللغوية التي يمتلكها، فهو يرسم لنا طريقة الحوار في النقد البنّاء الذي يهدف إلى إصلاح النصوص وتقويمها من ذلك ما جاء من مقالتهِ ((إنّ

الوهن في كتاب ملوك العرب تجاوز الى التشويه والمسخ والقلب والإبدال و التغيير والتحريف في كثير مما يستشهد من أية محكمة، أو مثل سائر أو بيت شعر شايع فتراه يذكر الآية محرفة مصحفّه،.... ومسخ بالتحريف صورتها وهبط بها من سماء سناها الى حضيض ظلمها، وهكذا قد يروي الشعر الفصيح الذي هو غاية في البلاغة والانسجام ممسوخاً منسوخاً...))[٤٤].

وبهذا الصدد يشدد الإمام الراحل على الكاتب أن يشير إلى المرجعيات الثقافية التي نهل منها في كتاباته، أو المشارب التي استقى منها سواءً أكانت آيات قرآنية أم مضامين شعرية أو أحاديث نبوية،ويؤكد ذلك في قوله ((الرسالة العملية وإن تعددت فلا تدل على شيء وما أكثر ما يأخذها اللاحق من السابق وليس له فيه سوى تبديل الاسم أو تغيير بعض الكلمات وإليه تعالى نفزع في إصلاح هذه الطائفة))[٤٥].

وعوداً على بدء نقول:إنّه يمتلك حافظة قوية ومقدرة لغوية في التمييز بين النصوص الأصلية والمحورة؛ لهذا استطاع أن يوظف بعض مقالاته في نقد الأفكار التضمينية غير المشخّصة.

المبحث الثالث

الخصائص الفنية والبلاغية والأسلوبية لمقالات الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

أولاً: البنية الفنية للمقالة:

لم يكن النزوع الى التحليل النصي بدعة، لجأ إليها نقاد الأدب بعد ان حاموا طويلاً حول النصوص، واتجهوا إليها عبر سير أصحابها أو بياناتهم أو نفسياتهم[٤٦]. بل إنّهم كانوا يسعون إلى الكشف عن أغوار النص وسماته الكامنة داخل الحيز النصي الواحد.

وفي ضوء الدراسات البنوية الحديثة أصبحت دراسة النص عملية معقدة، لأنَّها تستدعي التوقف عند الاتجاهات الفنية الحديثة، وتطورات علم الدلالة، التي انتقلت بالنص إلى فضاء دلالي جديد، يتصل فيه الكاتب بقارئه الذي يجب أن يكون مستعداً لأداء مهمتهِ بوعي العملية التحليلية وما تقتضيه من أدوات تساعد في استنطاق النص عن كامن معناه، ويعد النص المكان الذي يدخلنا في اتصال روحي مع أفكار الكاتب ومشاعرهِ، ومن هنا

اصبح الاهتمام بالنص ودراسة لغة النص التي تستدعي الوقوف عند المفاهيم الأساسية الخاصة باللغة واللسان والمعنى والنص والمؤلف والقارئ أو كل ما يعين على تحليل النصوص واكتشاف معانيها الكامنة وراء السطور(٤٧) .

وتتوضح لغة النص من خلال المستوى النحوي والصرفي والبلاغي وهذا ما سيتكفله البحث في اختيار بعض النصوص المقالية للإمام الراحل، ولطبيعة البحث سنقتصر على المقالات التالية لبيان هذهِ المستويات.

فالنص الاول قوله في مقالتهِ (الشباب): ((أيها الشباب الأنجاب، أيها الأولاد الأمجاد، أنتم رجال الغد، وان كنتم ابناء اليوم، عليكم اليوم العمل، وغداً لكم المستقبل، أيها الشبيبة والأولاد، بل ايها العيون والأكباد، أنتم للبلاد وهي لكم، انهضوا نهضة شريفة تعيدون بها مجد أسلافكم، تعاشروا بعضكم مع بعض بروح الحنان والرحمة، والآخاء والمودة، وصكوا جباه الذين يريدون استعبادكم بصخرة الأنكار والشدة والقوة كونوا كأوائلكم أشداء على الكفار رحماء بينكم...))(٤٨).

أما النص الثاني الذي جسده بلغة مالت الى التركيز والبساطة قال في مقالة له بعنوان (نهضة العراق الاجتماعية): ((هو موضوع جدير بالبحث والعناية فإنّ التقدم العمراني والاقتصادي لا يثمر الثمر الجني النافع ولا يعطي الغاية المتوخاة إذا لم يصحبه الإصلاح الاجتماعي، فيسير الرقى المادي للبلاد مع الرقى المعنوي والنفسي لأبنائها جنباً الى جنب، وقد تطرقت لهذه المواضيع مفصلاً غير مرة في اكثر خطبي ومؤلفاتي ولا زالت هي دعواي وإليها دعوتي))(٤٩)

وله مقال أيضاً حملت عنوان (علي فوق العبقريات) فيقول)(... اما الكتابةَ عن شخصية كعلي بن ابي طالب عليه السلام الذي لا تعدّ مناقبه، ولا تحصى فضائله بل لو أراد الكاتب مهما كان ان يكتب في كل واحدة من زواياه وفصاحته مؤلفاً ضخماً لما استطاع أن يوفيها حقّها..))(٥٠).

١ـ المستوى الدلالي:

ان طبيعة الكلمة العربية تتولد في أولى خطواتها من المعاني المادية وتتطور بعد ذلك الى معانٍ فكرية وعقلية، لهذا فإن الكلمة الحقيقة عندما تنتقل من معناها اللغوي، تصبح صورة

دلالية بديلة تؤدي المعنى الذي انتقلت إليه في هيئة صورية ترتبط بمعناها اللغوي فتثير بهذا الارتباط ذكريات المتلقي بشأنها وتحرك احاسيسه[٥١] فالمستوى الدلالي يكشف لنا عن حياة الكلمة العربية فهي المحصلة النهائية التي يسعى الى تحقيقها المتكلم عن طريق الألفاظ التي ترتبط مع بعضها بعلاقات مختلفة كالصوت والتركيب وغيرها، وفي ضوء هذا المفهوم نعرض نماذج من مقالات الشيخ تكشف عن طريقها الالية المهيمنة في خلق الدلالة الإيحائية في الجملة المقالية، واذا نظرنا في النصوص المقالية التي اخترناها نرى انه استعمل الطباق كثيراً منها قولهِ (انتم رجال الغد، وان كنتم ابناء اليوم، عليكم اليوم العمل وغداً لكم المستقبل، أيها الشيبة والشباب) فالطباق تمثل بالألفاظ (الغد واليوم)،(لكم وعليكم) و (الشيبة والشباب).

من الواضح أنّ الشيخ كان يحمل هَم العراق بين جنباتهِ، فقد كان يطمح أن يصل أبناء العراق الى مستوى من الرقي الاجتماعي والنظر الى المستقبل بعقل متفتح يواكب تطور العصر ولغرض توضيح هذهِ الفكرة جاء بالطباق، أما في النص المقالي الثاني قال (فيسير الرقي المادي مع الرقي المعنوي) فجاء بالطباق ليؤكد أنّ النهضة والانتعاش لن تتحقق بالغاية المادية دون المعنوية فجاء بهذا الفن لتوضيح هذهِ الفكرة، واستنباط منها حكمة الوحدة العربية فهي أساس النهوض.

ومن الأمور الدلالية هي دلالة الأعلام، ففي مقالتهِ (علي فوق العبقريات) أراد الكاتب من ذكر اسم الإمام علي للدلالة على عظمة هذهِ الشخصية العظيمة التي يعجز الإنسان عن وصفها والإلمام بصورة كاملة عن هذهِ الشخصية المعجزة.

٢ـ المستوى البياني:

على الرغم من اقتراب أسلوب الإمام الراحل من أسلوب التعبير أو التصوير المباشر في عرضه للمضامين، فإنه لم يبتعد عن الأسلوب الأدبي في اعتمادهِ على الصور المجازية والالتماسات البيانية، والتي من شأنها أن تحدث الإقناع، وفي هذهِ النصوص المقالية نجد الاستعارة حاضره بقوة، لتوكيد المعنى في النفس ((عن طريق استعارة لفظة أكثر تمكناً في الدلالة على الصفة من اللفظة الأصلية، واستخدامها في التعبير بدلها للدلالة على ذلك المعنى على نحو المجاز))[٥٢].

ومن ذلك قوله في النص الثاني (إنّ التقدم العمراني لا يثمر الثمر الجني النافع) فقد استعار الثمر الجني للتقدم العمراني فالكاتب شبّه التقدم بالشجرة المثمرة لكنه حذف المشبه وأبقى لازمه من لوازمه للدلالة عليه (استعارة مكنية)، والدلالة النفسية كانت حاضرة في ذهن الكاتب في هذهِ الاستعارة، فهو يؤكد أن هذهِ الشجرة لم ترتقِ الى مستوى انتاج الثمار الجنيّة لعدم حصولها على مقومات الطبيعية فهي كشأن التقدم الذي لا يحظى بالوحدة والاستقرار للدول العربية، كذلك قوله (فيسير الرقي المادي للبلاد مع الرقي المعنوي والنفسي جنباً الى جنب..) فالكاتب استعار شيئاً محسوساً وهو (السير) لأمر معنوي وهو الرقي إذ شبه الرقي المادي والمعنوي بشخصين يسير كل منهما الى جانب الآخر، فيجعل من الاستعارة جسراً رابطاً مع الدلالة وهي التوازي بين الأمرين وعدم إغفال الآخر.

وأيضاً كانت الكناية حاضرة في مقالات الإمام ومن ذلك قولة في المقال الأول (وصكوا جباه الذين يريدون استعبادكم بصخرة الإنكار) وهي كناية عن توحيد الموقف إزاء الاستعمار، وفي ذلك دلالة إيحائية تتمثل عن القوة فجاء بلفظ الصخرة للدلالة على قوّتها.

ولتعظيم دور الشباب وحبه لهم يسلك فن التشبيه لتوكيد المعنى في ذهن المتلقي فيقول في المقال الأول (أيها العيون والأكباد) فقد شبه الشباب بالعيون الاكباد في خطابه لهم؛ لأنّ العين هي أهم حاسة لدى الإنسان، فالكاتب يُريد أن يقول إنّ البلاد ترى النور بالشباب وبدورهم الفاعل والمساهم في البناء.

ثانياً – أساليب المقالة

١ـ الأسلوب الواقعي:

تمثل الواقعية الاقتراح المعرفي الدقيق الذي يشتمل على الموضوعية، و الواقعية في الأدب هي أن ينتزع الكاتب من الحقيقة الراهنة والحياة الواقعية عناصر موضوعه، ولا يشترط فيها ان تكون واقعاً بالفعل بل يكفي ان يكون لها بالحياة نظائر(٥٣).

والمدرسة الواقعية في الأدب عنت بتصوير كل ما له علاقة بالواقع، على قدر كبير من الدقة والتفاصيل المشتركة للحياة اليومية، وتواصل داخلي صميم ما بين العمل الفني والحقيقة العادية.

والواقعية من حيث هي طريقة خلاقة هي ظاهرة تاريخية، ظهرت في مرحلة معينة من تطور العقل البشري من العهد الذي كان الناس فيه يتصارعون من الضرورة الحتمية، للتفكير في اتجاه وجوهر حركة المجتمع(٥٤). وقد جعل (الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء) الواقع منجىً له استقى منه أدبه وحرص على ان يكون المجتمع واحواله المادة الخام لمقالاته، وتبرز هذهِ الواقعية عن طريق الرد الواقعي نحو قولهِ المطالب بالاستقلال: ((... نعم اعطيتمونا الاستقلال، ولكن الاستقلال الكاذب المزيّف ما تغيرت ولا تبدلت، وانّما تغيرت الألوان والأوضاع))(٥٥).

وقال في مقالة تحت عنوان (حقيقة الاستعمار): ((.. والاستعمار كاللص يدخل الدار فيأخذ ما فيها.. وصاحب الدار ينظر وليس لديه قوة المدافعة وإذا صاح أو صَرِخ يجني على حياته))(٥٦).

وهكذا كانت أكثر مقالاته تُعد لسان الامة الناطق وقلبها النابض، وقد أضفى على هذهَ المقالات البعد الواقعي وأبدع في المزج بين الفن والواقع والتاريخ، فاستطاع ان يحاكي الواقع والقدرة على إقناع القارئ.

ويقول في مقالة تناول بها الشأن الاجتماعي ((... المهلكات الثلاث: الجهل والفقر والمرض، كافحوا هذهَ الأدواء وعالجوها... عاملوا الناس بالصدق والرفق، واغرسوا جذور المحبة في قلوبهم بالإحسان إليهم والعطف عليهم تملكون مودتهم... عالجوا سرطان الاقطاع الخبيث في جسم هذهَ الأمة))(٥٧).

في هذهَ المقالة صوّر الكاتب الواقع بعاداته البالية التي ورثها العراقيون منذ أجيال وبقيت تؤثر في المجتمع أي أنّ الكاتب قد عاصر المجتمع الذي يحتقر الفلاح والحائك ويجلون الثري ويقدسون الإقطاعي. فالشكل الواقعي الذي التزمه الكاتب هو تسجيل الحدث بواقعهِ.

والكاتب لا يتأثر بالمجتمع فقط بل يؤثر فيه والفن ليس مجرد إعادة صنع الحياة فقط، وانما تكوين لها ايضاً(٥٨).

وهذا ما سعى إليه الكاتب عن طريق تطويعه لهذا الجنس الأدبي المواكب لليوميات

الإنسانية وتسجيله لكل حدث نابض من الواقع وبشكل يتناسب مع التفضيلات الدقيقة للحياة الجارية، فضلاً عن جوانب عامة عُنيَ بها المجتمع آنذاك.

٢ـ أسلوب الترسل:

يعد النثر أداة يعبر بها عن الحياة الجارية المألوفة التي لا غرابة فيها ولا شذوذ، واصبح بمقدوره التعبير عن كل هذهَ الأشياء تعبيراً أدق وأوفى مما يستطيع الشعر[٥٩]، والكاتب الذي يعمد الى أسلوب الترسل هو الذي يطلق الكلام فيه إطلاقاً، ولا يقطع اجزاءً، بل يرسل ارسالاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها، إلاّ في القليل النادر، اذ يعتمد ((الكاتب في عرض أفكاره ومعانيه على الوضوح التام والتحليل البسيط والاضافة دون تحمّل فني خاص، وهذهِ السمات لا تتحقق إلا اذا استطاع الكاتب أن يطلق موهبتهِ على سجيتها، دون تقيدها بقيود شكلية صارمة))[٦٠]. ويعدُّ هذا الأسلوب من أهم الأساليب التي تعتمد عليها المقالة في تناول الموضوع وأداء الفكرة؛ لانّ الهدف منها إبلاغ رأي الى القرّاء وإفهامهم إياه، لذا يتجنب الأديب استعمال الألفاظ المبتذلة، ويبتعد عن الكنايات والاستعارات والمجازات البعيدة، لأنها تلقي على المعاني ظلالاً يصعب تبنيها، لهذا مالَ الشيخ الى السهولة والوضوح والابتعاد عن التعقيد في أغلب مقالاتهِ منها قوله في مقالتهِ (التوحيد والألحاد): ((.... بلغت العرب في عصورها الأخيرة (أعني العصور الجاهلية) إلى حالة من الوحشية وسوء الأخلاق، والذل والمهانة، والسقوط أمام الأمم المالكة.... مبلغاً يقصر عنه البيان ولا يحيط به القلم ولا اللسان حتى سطعت في اثباح تلك الظلمات المتراكمة.... وأشرقت شمس الديانة الإسلامية، وجاءهم محمد ﷺ بالنور الساطع والدين الحنيف والأخلاق الفاضلة...))[٦١].

والملاحظ على أسلوب هذهِ المقالة البساطة والسهولة، فهو أشبه بأسلوب الحياة اليومية، من دون كلفة أو رهق، وقد رافق هذا الأسلوب كثيراً من مقالاته التي يريد عن طريقها إيضاح شيئاً عاماً، ولاسيما في الجوانب الدينية كي لا تحتمل معاني مختلفة يصعب على المتلقي فهمها وتكون ذريعة للتأويل والإختلاف.

الخـاتمة:ـ

وفي ختام هذهِ الرحلة الشيّقة مع هذا البحث أود أن أُسجل بعض النتائج التي توصّل

إليها البحث منها:

١- حملت مقالاته عناوينَ مختلفة جسدت في طياتها إيحاءات علاماتية تتضمن دلالات مخبأة لا يستطيع المتلقي اكتشافها من دون الرجوع إلى السياقات النصية والثقافية التي جاءت فيها.

٢- تنوّعت موضوعات المقالة عنده، فبعضها عالج فيها قضايا سياسية، وأخرى اجتماعية، و ثالثة نقدية وغيرها.

٣- تبين للبحث أنَّ هذا العالم يُعدُّ من رواد المقالة العراقية في العصر الحديث، وقد سارت مقالاته بإسلوب واضح يتضمن تعابير عصرية تحاكي المستقبل.

٣- أما فيما يتعلق بالبناء الفني لمقالاته فقد سار بمنهج واضح يتمثل في إثارة الموضوع وعرضه بطريقة موجزة ومن ثم التوصل إلى الخاتمة.

٤- تنوعت مرجعياته الثقافية التي استقى منها أفكاره المقالية وقد أخذت أشكالاً متعددة بيد أنَّ المرجعية القرآنية كانت أكثر حضوراً في أغلب مقالاته، نتيجة لتربيته الدينية في النجف الأشرف.

٥- هناك سمة عامة لازمت أغلب مقالاتهَ وهي التكثيف الدلالي والإيجاز اللفظي وهذا الشيء يتناغم مع طبيعة الفن المقالي وحقيقته.

٥- كان الأسلوب الواقعي في عرض الافكار، هو الأسلوب الطاغي على أغلب مقالاته السياسية والاجتماعية، لأنه اراد ان يستنهض همم المجتمع وخصوصا الشباب وهذا الاسلوب يبعث التأثير في نفوسهم فقد مال اليه كثيرا في كتاباته.

هوامش البحث

(١) ظ: ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة: ١٨٢/٣

(٢) الدرر البهية في أنساب عشائر النجف العربية، عباس الدجيلي:١٩/١

(٣) ظ: ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة:١٢٦/٣-١٢٧

(٤) ظ: المصدر نفسه: ١٢٦/٣

(٥) ظ: المصدر نفسه:١٢٦/٣

(٦) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: محمد هادي الاميني:٣٦٥

(٧) ظ: أساطين المرجعية، د. محمد حسين الصغير: ١٧٦

(٨) ظ: ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة:١٨٢/٣-١٨٥

(٩) كاشف الغطاء - محمد الحسين - العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية - تحقيق. جودت القزويني - ط١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - ص١٣ -١٤ .

(١٠) اساس البلاغة، الزمخشري:٥٢٨

(١١) لسان العرب، ابن منظور: ٥٣٧/١١

(١٢) المصدر نفسة:٩٥

(١٣) كمال اليازجي، وأميل المعلوف، المنتخب من أدب المقالة ٥، وينظر: المقالة فن وتاريخ ومختارات: أسعد نصر الله:٢٣

(١٤) الأدب وفنونه د. عز الدين اسماعيل:٢٨٨، وينظر: المقالة فن وتاريخ ومختارات: أسعد نصر الله السكاف:٢٣

(١٥) ينظر: فن المقالة ، د. محمد يوسف نجم:٩٥

(١٦) ينظر: المصدر نفسه:٩٥

(١٧) ينظر: المصدر نفسه:١٧

(١٨) يسألونك، عباس محمود العقاد:٥

(١٩) المقالة فن وتاريخ ومختارات، أسعد نصر الله السكّاف:٤١-٤٢

(٢٠) ينظر: أدب المقالة وأدباؤها، د. سعيد عدنان: ١٣- ١٤

(٢١) ينظر: المصدر نفسه:١٣-١٦

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٣-١٦

(٢٣) هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي:٢٣٠، و ينظر: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وجهوده الأدبية والنقدية، د. حسين لفته حافظ (بحث منشور) مجلة مركز دراسات الكوفة، ع٢٧ لسنة ٢٠١٢: ٩٨- ٩٩.

(٢٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٥) فن المقالة، د. محمد يوسف نجم: ١٣٤

(٢٦) ينظر: محمد حسين آل كاشف الغطاء سيرتهُ وأدبهُ د. منير بكر التكريتي، مجلة آفاق نجفيه، ع٢ السنة الأولى ٢٠٠٦م:٣١١.

(٢٧) نشرت هذه المقالات في مجلة الاعتدال: السنة الأولى ١٩٩٣، ومجلة الغري السنة الأولى، ومجلة البيان السنة الثانية ١٩٤٨، ومجلة العدل، ومجلة الموسم، العدد ١٣،١٩٩٢

(٢٨) مجلة النشاط الثقافي، ع١ السنة الأولى، ١٣٧٨هـ، ٤٢٠

(٢٩) مجلة الاعتدال، السنة الأولى، ١٩٣٣: ٦١

(٣٠) مجلة البيان، السنة الثانية ١٩٤٧- ١٩٤٨: ٩٠٦

(٣١) ظ: المقالة فن وتاريخ ومختارات، أسعد نصر الله السكاف:٨٥

(٣٢) ظ: المصدر نفسه:٨٦-٨٧

(٣٣) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د. علي الوردي:٣٣٩

(٣٤) مجلة آفاق نجفية،ع٢،١٤٢٧هـ، ٣٢٢

(٣٥) ظ: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د، علي الوردي:٣٣٣-٣٣٤

(٣٦) مجلة آفاق نجفية ع٢، لسنة ١٤٢٧هـ، ٣٢٣

(٣٧) مجلة آفاف نجفية العدد ٢/ ١٤٢٧هـ:٣١٦

(٣٨) المصدر نفسه:٣١٦

(٣٩) مجلة الاعتدال، ع١، ١٩٣٤- ١٩٣٥ . ٨

(٤٠) مجلة آفاق نجفية، العدد ٢/ ١٤٢٧هـ:٣١٩

(٤١) فن المقالة، د. محمد يوسف نجم: ١٣٢

(٤٢) ينظر: جريدة النجف، تحرير يوسف رجيب ٢٨ مايس ١٩٢٦.

(٤٣) مقال (الريحاني في ميزان النقد)، جريدة النجف ع٤٣، النسخة الثانية، مايس ١٩٢٦:١، وينظر: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وجهوده الأدبية والنقدية، د. حسين لفته حافظ (بحث سابق):١٠١- ١٠٢.

(٤٤) المصدر نفسه

(٤٥) عبيد – ظاهر جبار – الإصلاح والتجديد في فكر الشيخ كاشف الغطاء – مجلة قضايا إسلامية – مصدر سابق – ص ٤٨٤ .

(٤٦) ينظر: دراسة للتحليل النصّي في النقد المعاصر، حاتم الصكر: ١١

(٤٧) ينظر: الاتجاهات السيموليجية المعاصرة، مارسيلو راسكال، ترجمة حميد حمداني: ٤٥-٦٠

(٤٨) مجلة الاعتدال، السنة الثانية،١٩٣٤-٨:١٩٣٥

(٤٩) مجلة الهاتف، ع١، النجف الأشرف:١٠

(٥٠) مجلة العدل، ع٢٤، ج٣، ١٣٣٧ هـ

(٥١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي:٢٢٠

(٥٢) ينظر: سورة القيامة (دراسة اسلوبية)، مواهب عباس الدليمي (رسالة ماجستير):٩٦

(٥٣) ظ: فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ، محمد المبارك: ٦٤

(٥٤) ينظر: منهج الواقعية في الإبداع، د. صلاح فضل:٥-٩

(٥٥) مجلة آفاق نجفية:ع٢، ٢٠٠٦م، ٣١٦

(٥٦) المصدر نفسه: ٣١٦

(٥٧) مجلة آفاق نجفية: ع٢، لسنة ٦-٢، ٣٢٢

(٥٨)ينظر: نظرية الأدب، اوستن وارين ورنيية ويلك، ترجمة محي الدين:١٢٩

(٥٩) ينظر: في الأدب الحديث، عمر الدوسقي: ١/ ٣٩٣

(٦٠) المقالة الأدبية في ادب أحمد أمين، محمد صالح رشيد (اطروحة دكتوراه):١١٤

(٦١) مجلة الاعتدال، السنة الأولى، ١٩٣٣ م: ٦١

قائمة المصادر والمراجع

١. الاتجاهات السيمولوجية المعاصرة، مارسيلو داسكال، ترجمة حميد الحمداني ومحمد العمري وعبد الرحمن طنكبول ومحمد الولي ومبارك حنون، منشورات الرائد العربي ١٩٨٥.

٢. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم بن محمود الزمخشري، دار بيروت ١٩٨٤م .

٣. أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، د. محمد حسين علي الصغير،ط١، مؤسسة البلاغ، دار سلوني ٢٠٠٣م.

٤. أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية، د. منير بكر التكريتي، ط١، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧٦ م .

٥. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت - لبنان ١٩٨٤ م .

٦. الى فلسطين، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة افاق نجفية، العدد ٢، ١٤٢٧هـ.

٧. ترويض النص، دراسة للتحليل النصّي في النقد المعاصر، حاتم الصكر، الهيأة المصرية العامة للكاتب،١٩٩٨ م .

٨. تطور الادب الحديث في مصر، أحمد هيكل، ط٦، دار المعارف/١٩٩٤ م .

٩. التضحية في ضاحية الطف، مقال للشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء، مجلة البيان، السنة الثانية، ١٩٤٧-١٩٤٨.

١٠. التوحيد والالحاد، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة الاعتدال، السنة الأولى ١٩٣٣م .

١١. حقيقة الاستعمار، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة افاق نجفيه، العدد٢/١٤٢٧هـ .

١٢. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د. علي الوردي، مطبوعات جامعة بغداد.

١٣. الريحاني في ميزان النقد، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، جريدة النجف، تحرير يوسف رجيب، ٢٨ مايس ١٩٩٩م .

١٤. سورة القيامة (دراسة أسلوبية)، مواهب عباس الدليمي، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الانبار،١٩٩٩م .

١٥. الشباب، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة الاعتدال، العدد الأول، النجف الأشرف،١٩٢٤م.

١٦. علي فوق العبقريات، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة العدل، العدد٢٤، ج٣،١٣٣٧هـ.

١٧. فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، فيصل حسين علي (رسالة ماجستير)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ١-٢م .

١٨. فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، ط٢، دار بيروت للطباع والنشر١٩٦٠م .

١٩. في الأدب الحديث، عمر الدوسقي، ط٧، دار الفكر العربي بيروت .

٢٠. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، د.ت .

٢١. ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر باقر محبوبة، ط٢،دار الاضواء بيروت -لبنان، ١٩٨٦م.

٢٢. محاورة الأمام، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة أفاق نجفية، العدد٢، ١٤٢٧هـ.

٢٣. المقالة فن وتاريخ وختارات، أسعد نصر الله، ط١، دار نظير عبود، ١٩٩٠م.

٢٤. المنتخب من ادب المقالة، كمال اليازجي وأميل المعلوف، دار الملايين ١٩٩٥م.

٢٥. منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، د. صلاح فضل، ط٢، دار المعارف ١٩٨٠م.

٢٦. موقف الحسين يوم الطف، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة النشاط الثقافي، العدد الأول، السنة الأولى، ١٣٧٨هـ .

٢٧. نهضة العراق الاجتماعية، مقال للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجلة الهاتف، العد الأول، النجف الأشرف، ١٣٧٨هـ .

٢٨. هكذا عرفتهم، جعفر الخليل، مطبعة الزهراء، بغداد،١٩٦٣ م .

٢٩. يسألونك، عباس محمود العقاد، ط٣، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨ م .